الدولة الفاطميّة

من المعروف تاريخيا ان قيام الدولة الفاطمية كان منشأها في بلاد المغرب سنة 297هـ/909م بناءا على حركة مذهبية نشطة، تمثلت في نشر الاسماعيلية في مختلف أقطار العالم الإسلامي، بالتعريف بقضية آل البيت حيث بدأ قيامه وعهدها بمبايعة عبد الله المهدي ومباركة قبيلة كتامة له، والتي ساهمت مساهمة كبيرة في قيام الدولة الفاطمية وقد توسعت أيما توسع حتى بلغ مجالها الجغرافي حدود الأندلس، وارتكزت سياستها على نشر وتثبيت مرتكزات المذهب الشيعي ومحاولة القضاء على المذهب المالكي.

نشأة الدعوة الفاطمية:

تعرف الإسماعلية أنها فرقة من الفرق الكبرى التي إنتسبت إلى التشيع ذاع صيتها وتطورت تطورا لافتا وذلك لتاريخها الكبير، إذ يعتقد أصحابها أن نسبهم يصل إلى نسب فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهي أول بذور الدعوة الإسلامية وأول معتقداتها وامتد تاريخ هذه الدعوة من منتصف القرن الثاني حتى قيام الدولة الفاطمية(297هـ/909م).

أما بداية التشيع حسب ماورد في متب التاريخ فإنها تعود إلى رجل من اليهود يقال له عبد الله بن سبأ الذي ادعى الإسلام بغرض تشويه صورته والطعن فيه، من خلال زرع فكرة التشيع في الأمة، وذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفانرضي الله عنه، وقد جال بفكرته السوداوية عن الإسلام بين المدينة والكوفة والبصرة وصولا إلى بلاد الشام ومصر، وقد استمال إليه فئة من المنافقين والمفسدين وكذا ضعاف الإيمان والجاهلين بالدين الإسلامي، وبنى عبد الله بن سبأ فكرة التشيع على ركيزتين أساسيتين لتحقيق أغراضه والنوايا اليهودية الدنيئة أولاهما الدعوة إلى اعتقاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم واستدل على ذلك بقوله تعالى " **أن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى ميعاد** "سورة القصص85.

فيدعي أن من يصدق بأن النبي عيسى عليه السلام سيرسل مرة أخرى لابد عليه من اليقين بأن محمد صلى الله عليه وسلم كذلك سيبعث مرة أخرى بدليل الآية السابقة، اما ثانيهما فهي الدعوة إلى التسليم بأن لكل نبي وصي ووصي النبي هو الإمام علي بن أبي طالب، وغرس فكرة أنه من الظلم منع وصية رسول الله.

قيام الدولة الفاطمية في آفريقيا:

بدأت الحركة الإسماعيلية كتنظيم ثوري سري يعتمدعلى مجموعة من الدعاة النشطين المنتشرين في أرجاء العالم الإسلامي اعتبارا من منتصف القرن الثالث، وقصد هؤلاء الدعاة بوجه خاص الأطراف التي غلب على اهلها الغفلة والجهل وعلى الأخص أقاليم إيران وخرسان والشمال الإفريقي واليمن...وكان الشمال الإفريقي أرضا مهيأة لنصرة المذهب الإسماعيلي وذلك أن التشيع منذ نشأته اتخذ صبغة مضادة للعرب والعصبية العربية، فكما اعتمد في المشرق على الموالي من الفرس اعتمد في المغرب على الموالي من البربر.(1)

وكاد القرن الثالث الهجري يشرف على نهايته إلا وكان الفاطميون الشيعة قدقد نجحوا في تتجويج نشاطهم السري المكثف الذي قام به تنظيم الدعاة، والذي استمر أكثر من مائة وخمسين عاما بإعلان قيام الخلافة الفاطمية في إفريقيا سنة(297هـ/909م)، وهكذا فبعد إعلان قيام الخلافة الأموية في الأندلس بنحو عشرين عاما في سنة 317هـ/929م أصبح يتقاسم حكم العالم الإسلامي خلافات ثلاث، خلافتان سنيتان: الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الأموية في قرطبة، وخلافة ثالثة شيعية هي الخلافة الفاطمية الإسماعيلية في إفريقيا، وعلى الجانب الآخر كانت الدولة البيزنطية المسيحية في القسطنطينية تتربص بها وتتحين الفرص لاستغلال هذا الانقسام الذي اعترى الامبراطورية الإسلامية.(2)

ونظام الحكم في الدولة الفاطمية مخالف لباقي الدول إذ أن العبيدية الفاطمية مستقلة استقلالا تاما، وحكومتها يصح ان تسمى مطلقة لأن الدذهب الإسماعيلي يرى الإمام

معصوما، فتجمع له كل السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية، والإمام هو رئيس الحكومة الأعلى ويلقب أمين المؤمنين، ويتعين بالعهد إليه من سلفه ولابد أن يكون من آل البيت، ولهذا كثر النزاع في نسب عبيد اله المهدي...ويساعد الإمام وزراء وعمال وقضاة والحكومة العبيدية لا تعترف بأية حكومة أخرى، فكانت ترسل الدعاة إلى جميع الأوطان الإسلامية دون بلاد الكفر، ولهم رئيس يلقب "داعي الدعاة " وهو الذي يأخذ البيعة للإمام...وكانت تجبر الناس على العمل بمذهبها فتشيع كثير من أهل العالم رغبة أو رهبة وامتحن كثيرون من أجل ترك البسملة في الفريضة، وترك "حي على خير العمل في الأذان" (3)

أسباب الإنتقال الفاطمي من المغرب إلى المشرق:

لقد تعرضت الدولة الفاطمية لعدة عوامل كانت السبب وراء انتقال حكومتها إلى مصر ومن ثم إلى بلاد المشرق، وحالت دون استمرار وجودها في إفريقيا وبلاد المغرب الإسلامي، ولعل أهم هاته العوامل وأبرزها هو الخلاف المذهبي مع أهل المغرب والذين كان معظمهم يتبعون المذهب السني، ويمكن تمييز نوعين من العوامل التي أدت إلى زوال الوجود الفطمي وهي عوامل داخلية وأخرى خارجية.

1/العوامل الداخلية:

لقد كان للفاطميين معارضة شرسة كان لها تاثير كبير وقوي على شمال إفريقيا أدى بطبيعة الحال إلى انتقال الفاطميين من بلاد المغرب إلى مصر وفتحها وآقامة الخلافة الفاطمية بها، ولقد كانت المقاومة السنية ضد الشيعية من أبرز أشكال المعارضة التي عرفها الفاطميون في إفريقيا، فقد شكلت مقاومة عنيدة وشديدة من أهل السنة وخاصة أصحاب المذهب المالكي الذي اعتبر الشيعة والفاطميين زنادقة وأمروا بقتلهم ومقاطعتهم، فساند سكان المغرب أهل الدين السنيين والتفوا حولهم، لذلك علم الفاطميون أنه لا سبيل لنجاح دولتهم مع المذهب المالكي، كما تعتبر ثورات الخوارج والبربر عاملا سلبيا ضد الدولة

الفاطمية والتواجد الشيعي في المغرب، فقد قامت عدة ثورات ضدهم وضد تواجدهم بالمنطقة واعتراضا على حكمهم وعلى الخلافة كلها.

2/أسباب خارجية:

أما الأسباب الخارجية التي دفعت بالفاطميين إلى الإنتقال إلى المشرق هي الموقع الجغرافي لبلاد الشام، وأدركوا أن مصر ذات أهمية كبيرة وموقع استراتيجي مغري في العالم الإسلامي، باعتبارها تتوسط القارات الثلاث إفريقيا وآسيا وأوروبا وما لها من ميزات تجارية عالمية واقتصادية مهمة، كونها مطلة على البحر الأبيض المتوسط.

وكذا الضعف والتقهقر الذي بلغته الخلافة العباسية حيث كانت هناك خصومة كبيرة بين الخلافتين العباسية والفاطمية خاصة مع الأطماع الفاطمية المتزايدة في قيادة العالم الإسلامي ونشر المذهب الشيعي فيه.